الافتتاحية

عود على بدء

كتاب "مقدس رسول"

نموذج فريد للدفاع عن الرسول ﷺ

د. مقتدى حسن بن محمد ياسين الأزهري

شيخ الاسلام أبو الوفاء ثناء الله الأمرتسري من أعلام أهل الحديث في الهند، إنه عاش حياة حافلة بالنشاط المتنوع، وعرفانا بالجميل أعدت أعمال كتابية ورسائل جامعية عن حياة هذا العالم الكبير وأعماله وآثاره وما أسداه الى المسلمين من الأيادي المعنوية. ولا تزال هذه الجهود مستمرة تستلفت الأنظار، وتستدعي الأقلام للمساهمة في التعريف بهذا العالم الفذ.

ولكاتب هذه السطور مساهمة متواضعة في التعريف بالجهود المشكورة التي بذلها شيخ الاسلام ثناء الله في مقاومة القاديانية. ولست فريدا في التعريف بهذه الجهود، بل سبق عديد من العلماء الى الكتابة فيه، وكان الهدف من كتابتي هو التعريف بجهود العلامة باللغة العربية حتى يطلع القراء العرب على جزء من النشاط الذي قام به الشيخ ثناء الله ضد القاديانية.

وبعد مضي مدة على الكتابة المذكورة أثير في الهند – وكثيرا ما يثار حينا بعد آخر – موضوع الإساءة الى سيد الأنبياء والمرسلين المنعوت برحمة للعالمين محمد الأمين ﷺ. وهذه الاساءة قد أقلقت المسلمين في أقطار العالم، وأقضت مضاجعهم، وكيف لا، وهم يؤمنون بأنه ﷺ بعث رحمة للعالمين، وأحدث بسيرته ودعوته تحولا عظيما واصلاحا فريدا لم يستطع أحد غيره أن يحدث مثله؟ صلاة الله تعالى وسلامه عليه على مر الأيام والعصور. وحياته الطيبة وسيرته العطرة لا تزال موضوع الكتاب والعلماء والباحثين من المسلمين وغيرهم. وهذه الكتابات أنواع، فمنها ما شرح هذه الحياة الطيبة، ومنها ما ركز حول الانجازات العظيمة التي تمت بجهود الرسول الأكرم ﷺ ودعوته ودعوة أصحابه

رضي الله تعالى عنهم، ومنها ما اختص بالدفاع عن حياته وحرماته ﷺ. ومن هذا النوع كتاب "مقدس رسول" الذي ألفه شيخ الاسلام الأمرتسري افحاما لمن تطاول على الرسول ﷺ وحاول الانتقاص من منزلته العليا، وافترى عليه افتراء ات يندى لها جبين البشرية. كان رد الشيخ الأمرتسري قد طبع لأول مرة فى عام ١٩٢٤م، فلما وقعت الاساءة اليه ﷺ من بعض الأشرار الأوغاد في بداية القرن الحادي والعشرين الميلادي، وتكررت فى شبه القارة الهندية وخارجها تذكرت كتاب "مقدس رسول"، وحاولت أن أقوم بالتعريف به في مجلة صوت الأمة، وقد وفقني الله تعالى لانجاز بعض ما أردت، ونشرالمقال في أربع حلقات في المجلة بداية من ديسمبر ٢٠٠٥م وحتى مارس ٢٠٠٦م. وحيث إن الشواغل كثيرة، وهمة الانسان قصيرة، وتجري الرياح بما لا تشتهى السفن، فان توقفا غير مرضي قد حدث في الكتابة، فلم أستطع مواصلة الكتابة لمدة أكثر من سنة كاملة. ولما عدت الى الجامعة السلفية لممارسة نشاطي، تذكرت ذلك الموضوع الذي بدأت الكتابة فيه قبل سنة، فعزمت على أن أكمل التعريف بكتاب "مقدس رسول" الذي حاز اعجاب الناس، ولا يزال موضع عنايتهم منذ أن ألف والى الآن. والحق أن مثل هذا القبول لم يرزق الكتاب الا بموضوعه، وبالاخلاص الذي امتاز به المؤلف فى تأليفه، وببراعته في الاستدلال وبهدوءه فى المناقشة وبتمسكه بجانب الحياد والموضوعية، أحسن الله له الجزاء.

والآن أعود الى التعريف بالكتاب المشار اليه فيما بقى منه وأسأل الله تعالى التوفيق للاتمام.

أم المؤمنين زينب رضي الله عنها

قال الشيخ الأمرتسري: إن الخصم ذكر نكاح زينب رضي الله عنها فى الصفحة ٣١ من كتابه، ولكنه آثر أسلوب السوقة، وسار على طريق السخرية، ولم يأت بشاهد من الكتب الاسلامية الموثوق بها!

ولا شك أن هذه القصة تعرضت لانحرافات كثيرة من المؤيدين والمعارضين، ولذا نود أن نقدم القصة الى القراء بعيدة عما لحقها من الخلط والانحراف، وقد سبق أننا

أوردناها في عديد من مؤلفاتنا، ولكننا نعرضها اليوم بصفة خاصة.

وهنا أشار الشيخ إلى عادة العرب في التبني في ذلك العهد، والى المفاسد التي تنشأ عنه، والى الأضرار التي تترتب عليه، وكيف أن الاسلام قضى على العادة المذكورة بحكمة. فمن توجيه القرآن الكريم: ﴿وما جعل أدعياء كم أبناء كم، ذلكم قولكم بأفواهكم، والله يقول الحق وهو يهدي السبيل، ادعوهم لآباء هم هو أقسط عند الله، فان لم تعلموا آباء هم فاخوانكم في الدين – الأحزاب: ٤ – ٥﴾.

ما أقرب هذا التوجيه الى الفطرة! إن القدرة الالهية اذا لم تربط بين شخصين، فلا تحسبوهما مرتبطين، بل انسبوا الرجل الى والده الحقيقي.

ولم يكن هذا التوجيه القولي كافيا للقضاء على تلك العادة القبيحة، فلذا أمر الله تعالى ذلك المصلح الأعظم رسوله ﷺ بالقضاء عليها بعمله، وقد صور القرآن الكريم في آياته البينات ما حدث بهذا الصدد، يقول تعالى: ﴿وإذ تقول للذي أنعم الله عليه، وأنعمت عليه: أمسك عليك زوجك واتق الله وتخفي في نفسك ما الله مبديه وتخشى الناس والله أحق أن تخشاه، فلما قضى زيد منها وطرا زوجناكها لكي لا يكون على المؤمنين حرج في أزواج أدعيائهم اذا قضوا منهن وطرا، وكان أمر الله مفعولا – الأحزاب: ٣٧﴾

وقد صحح الشيخ هنا زعم بعض المؤلفين الذين زعموا أن نكاح زينب قد انعقد في السماء فقال: إنه كان انعقد في الأرض مثل الأنكحة الأخرى، وأورد من تاريخ ابن هشام قوله: "تزوج رسول الله ﷺ زينب بنت جحش، وزوّجه اياها أخوها أبو أحمد بن جحش، وأصدقها رسول الله ﷺ أربع مائة درهم. (ابن هشام على هامش زاد المعاد ص ، طبعة مصرية).

وفي هذا الموضع دل الشيخ على التحريف الذي قام به الخصم (كالي چرن)، ثم صرح عن طبيعته فقال: اني لا أقلق ولا أغضب بسماع الطعن في القرآن، ولا أشتكي، وذلك أني وجدت القرآن الكريم كتاب المناظرة حيث يصغي الى اعتراض المعترضين، ثم يرد عليهم، ولذا لا أتألم بسماع الاعتراض، نعم أشتكي من جورهم الناشئ من العصبية، إن الآرية يحرفون القرآن والحديث فيشرحون نصوصهما من عندهم، ثم يطعنون فيها.

إن الخصم أورد رواية بالاحالة الى كتاب مدارج النبوة وكتاب روضة الأحباب، ثم وجّه الطعن الى النبى ﷺ مستندا الى الزعم الذي زعمه، والى المدلول الذي فهمه. وحيث إن الخصم أحال الى كتابين، ونقل العبارة من أحدهما، ثم خان فى النقل، ففضحه الشيخ بالدلالة على خيانته فى نقل الكلام، بايراد الرواية من روضة الأحباب، وتقديم ترجمتها فى عمودين جنبا الى جنب، ثم خاطب الآريين، واستغرب من التحريف الذي قام به كاتبهم (كالي چرن).

قال الشيخ الأمرتسرى تحقيقا للقول:

والحق أن قصة رؤية النبى ﷺ لزينب، أو اخفاء حبه اياها لم يذكره النبى ﷺ، ولا رواه أحد من الصحابة، وهما الوسيلتان للاطلاع على حقيقة الأمر، نعم رواه اثنان من المتأخرين، الأول اسمه: محمد بن يحيى، والثانى اسمه: ابن زيد، وهما من الطبقة المتأخرة، وقد قالا ما قالا دون سماعه من النبى ﷺ وصحابته، وعلى هذا تأبى أصول المحدثين أن يكون مثل هذا الخبر موضع الثقة والاستناد، ولذلك فصل العلماء المحققون القول في الرد على القصة التي حيكت حول نكاح زينب وتزوج النبى عليه السلام اياها.

وبايجاز تعارض عادة التبني التي تمسك بها أهل العرب والهند، قانون الفطرة، ولذا قام النبي ﷺ بأمر من الله تعالى بالقضاء على تلك العادة، والعجب أن الذين يتمسكون بأقبح من العادة المذكورة يستغربون من الاصلاح الذي أتى به الاسلام الذي هو دين الحق والسعادة!

وقد أشار الشيخ الأمرتسري الى بعض الصور القبيحة التي أبيحت في الديانة الآرية اذا لم يرزق الزوجان ولدا، وأحال لذلك الى كتاب ستيارتهه پركاش باب ٤ رقم ١١١. وانما فعل الشيخ ذلك مع الخصم لبيان أن الاسلام قضى على عادة التبني لأنها كانت تعارض حقيقة الأمر، وكانت تقر الفساد في المجتمع، وتؤدي الى أضرار ناشئة كثيرة تترتب على خطأ وارد في النسب.

وللدلالة على عدم التزام الخصم الآري بالحق والعدل في الكتابة، أورد الشيخ ما أثبته الخصم في كتابه عن قصة نكاح زينب، وانه في نقل العبارة عن الواقعة لم يلتزم بالعدل، بل غيّر وحرف حتى ينال من الرسول ﷺ ومن الاسلام. ولذلك ردّ عليه الشيخ الأمرتسرى

بالاحالة الى ما ورد في كتب الديانة من أن محمدا (ﷺ) قد قضى خمسين سنة من عمره على غاية من العفة والطهارة، فكيف يستبيح الخصم لنفسه أن يطعن في سيرة محمد ﷺ بعد أن شهد له بعض كتب ديانته بالعفة والحياة الطاهرة!

وحيث إن الآريين يقبلون عادة التبني، ويسيرون على مقتضاها، فيطعنون في توجيهات الاسلام السليمة، قد وجه اليهم الشيخ سؤالا خاصا عن النسبة بين الولد الحقيقي والمتبنى وبين الورد الأصلي والتقليدي. (ص٨٧)

الافتراء بلون جديد (ريحانة رضي الله عنها)

نقل الشيخ هنا كلام الخصم الآري عن موقف محمد ﷺ من اليهود، فذهب الى أن الرسول ﷺ حاول في البداية استمالة اليهود بعقد الصداقة معهم، وبالثناء على ديانتهم، وبتوثيق الاسلام من قبلهم، الى أن قال: ثم انصرف عنهم بعد أن كثر عدد المسلمين حتى وصل الأمر الى قتل مئات منهم الخ.

علق الشيخ الأمرتسري على هذا الافتراء بأن الخصم لم يحل الى مصدر موثوق به في التاريخ لدعواه المزرية المؤلمة، وعلى هذا كان الأفضل السكوت هنا كما نصح معلمه سوامي ديانند، ولكني آثرت الرد حتى يعرف القراء مدى التزام الآرية بالعدل والأمانة.

فند الشيخ زعم الخصم بأن استمالة اليهود وقعت من الاسلام، لا في القرآن ولا في السنة، بل صرّح القرآن بخلاف ما زعموا: ﴿لتجدن أشد الناس عداوة للذين آمنوا اليهود والذين أشركوا – المائدة: ٨٢﴾

ثم ألزم الخصم بأن زعيمه (سوامي ديانند) قام باستمالة بعض فرق الهنادك في كتابه ستيارتهپركاش (طبعة ١٨٧٥ م) وحينما لمس الازدياد في عدد الآريين عاد يذم الأمر الذي حسنه في كتابه.

ولتوضيح حقيقة الأمر في محاصرة اليهود في المدينة أورد الشيخ كلام المؤرخ الشهير ابن خلدون، وهو كما يلي: "كان بنو قريظة معاهدين رسول الله ﷺ، فأتاهم حي فأغراهم فنقضوا العهد، ومالوا مع الأحزاب. (تاريخ ابن خلدون)

وبعد كلام ابن خلدون أورد كلام المؤرخ أبي الفداء، وهو هكذا: كان بنو قريظة قد

عاهدوا النبي ﷺ فما زال عليهم أصحابهم من اليهود حتى نقضوا العهد، وصاروا مع الأحزاب. (تاريخ أبى الفداء)

وبالاحالة الى تاريخ الكامل لابن الأثير ٢ / ٨٩ أورد الشيخ قصة ريحانة بتفصيلها، مع الدلالة على التحريف الذي قام به الخصم متعمدا، وبذلك صار مطبقا لكلام زعيمه (سوامي ديانند) يقول: المصابون بالعصبية، والقاضون على العقل، يفسرون الكلام خلاف مراد المتكلم. (مقدمة ستيارتهو پركاش ص ٧)

وبعد قصة ريحانة، أورد الشيخ كلام الخصم عن غزوة بني المصطلق وما آل اليه أمر جويرية، ودل كالسابق على الأخطاء التي وقعت منه في نقل القصة الخاصة بغزوة بني المصطلق والسبية جويرية، وبعد ذلك أورد الشيخ القصة كاملة من المصدر الموثوق به، وهو تاريخ أبى الفداء، يقول أبو الفداء: فأدى عنها رسول الله ﷺ كتابتها، وتزوجها، فقال الناس أصهار رسول الله ﷺ، فأعتق بتزوجه اياها مائة أهل بيت من بني المصطلق، فكانت عظيمة البركة على قومها. (أبو الفداء ١ / ١٣٧، ابن خلدون ١ / ٢٣، ابن الأثير ص ٩١ — ٩٢)

وبعد نقل الكلام المذكور تساء ل الشيخ: الموقف المذكور ينم عن رحمة النبى ﷺ بالمرأة السبية أو مجافاته؟

أم المؤمنين صفية رضى الله عنها

تكلم الخصم الآري بتخبط وتحريف عن أم المؤمنين صفية رضي الله عنها، دون الاحالة الى مصدر! نبّه الشيخ على هذا الموقف المؤسف، ثم أورد كلام ابن خلدون عن القصة فقال: وأصيبت منهم سبايا كانت منهن عروسا عند كنانة بن الربيع بن أبي الحقيق، فوهبها عليه السلام لدحية، ثم ابتاعها منه بسبعة أرؤس، ووضعها عند أم سلمة حتى اعتدّت وأسلمت، ثم أعتقها وتزوجها. (ابن خلدون)

وهنا أيضا يتجلى الموقف الانسانى للنبى ﷺ، فانه قد أكرم مرأة من سبايا الحرب كانت في سهم جندي من أصحابه، فابتاعها وأعتقها ثم تزوجها.

أم المؤمنين أم حبيبة رضي الله عنها

ذكر الخصم نكاح أم حبيبة بصورة عابرة، ولكنه كعادته أخفى بعض الأمور. والشيخ

الأمرتسري أورد حكمة هذا النكاح على لسان أبي سفيان والد أم المؤمنين، واستغرب من تجاهل الخصم لهذه الحكمة !

أم المؤمنين ميمونة رضي الله عنها

ذكر الخصم زواج النبي ﷺ مع ميمونة بايجاز، ولكنه لم يورد اعتراضا، ولكنه صرح بأن حجرات أمهات المؤمنين كانت داخل المسجد، فرد الشيخ عليه في الهامش، وقال انها كانت حول المسجد وليس داخله.

وشم الشيخ هنا أن الخصم لم يقتنع برخصة تعدد الأزواج فى الاسلام، ولذا تتبادر منه بعض الجمل التي تنم عن شبهته، ولذا وعد بأنه يثير هذا الموضوع في الأخير، ان شاء الله تعالى.

مارية رضى الله عنها

كانت مارية من جواري النبى ﷺ، ولكن الخصم يطعن فى ذلك، ويقول كيف أن القرآن أجاز التسري، ولم تعترض عليه زوجاته ؟

رد الشيخ على الاستغراب المذكور بأسلوب مقنع جميل، فقال: لم يجز القرآن وحده التسري، بل اجازته كتب الفيدا أيضا، فقد صرح أستاذ الفيد الأول وزعيم الديانة الفيدية الناسك (منوجي) بأن "فرس الموكب، والبهائم، والنساء، يملكهن من فتحهن". (الباب السابع، فقرة ٩٦)

وفي موضع آخر صرح: "يأخذ الملك البرهمي المال من العبد والمنبوذ، ولا يبقي منه شيئا، فان هذا المال ليس ملكا له، انه دون المال". (منوسمرتى باب ٨، والفقرة رقم ٤١٦ – ٧١٧)

ثم وضع الشيخ عنوانا عن جهل الخصم، وصرح فيه بأن المؤلف (الخصم) لم يعرف تاريخ الاسلام، ولذا إنه يتخبط فى كتابه، ويطالع كتب المعادين للاسلام، ويستقي منه مطاعنه! والمضحك أنه وصف عثمان بأنه ختن الرسول ﷺ!!

وهكذا أخذ الشيخ على الخصم بأنه صرح بأن محمدا (ﷺ) منح أبا بكر وعثمان (ووصفهما بأنهما ختنه) وعليا ثلاث سبايا! وطالبه بالاحالة الى مصدر موثوق به اعتمد عليه فى هذا التصريح. وفي هذا الموضع أيضا أشار الشيخ الى ما صرح به زعيم الآريين من ذهاب

المرأة الى غير زوجها للحصول على الولد اذا لم تتحق لها هذه الأمنية من زوجها الشرعي !

وتحت عنوان "لون جديد للمؤلف المتلوّن" أورد الشيخ كلام الخصم الذي سطره للكلام على قصة التحريم، ودل على ما صدر منه من التلعب والتحريف في القصة المذكورة. ولافحام الخصم نقل الشيخ القصة من الجامع الصحيح للبخارى حتى يدل على الافتراء الذي ارتكبه الخصم للاساءة الى الاسلام ورسوله ﷺ.

وبعد قصة التحريم انتقل الخصم الى مبدأ تعدد الأزواج الذي أقره الاسلام بشروطه. وقد تعقبه الشيخ خطوة بعد الأخرى، وكشف عن تلبيسه وافتراءاته، وأحال بهذا الصدد الى تفسيره باللغة الأردية الذي أسماه بـ "تفسير ثنائي"، إن الشيخ قد شرح مبدأ التعدد في هذا التفسير، وقضى على الشبه التي يوردها الطاعنون في الاسلام ونوه بالحكم والمنافع التي تتحقق بالتعدد، وأشار الى الظروف والأوضاع التي تدعو الى التعدد. وبعد هذا النظر الموضوعي الى القضية، توجه الشيخ الى ديانة الآريين، فأورد منها النصوص التي تبيح التعدد، وتأمر الآريين باتباعها.

ومن افتراء الخصم أن التعدد خرّب دين محمد وبيته! يرد الشيخ على هذا الافتراء فيقول: كلا ثم كلا ! إن دين محمد ﷺ لم يلحقه أدنى جزء من التوقف والانحسار، بل انه في تقدم مستمر حتى انه وصل الى شبه القارة الهندية، واضطر زعيمكم لتأليف كتاب "ستيارته پركاش" للنيل من هذا الدين، وقد أنزل الله تعالى في القرآن الكريم: ﴿هو الذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون – الصف: ٩﴾

وقد أخذ الشيخ على الخصم بأنه وصف تاريخ الاسلام بالحروب وسفك الدماء، ثم أفحمه بأن عصر الخلافة الراشدة لم تقع فيه حرب داخلية بين المسلمين سوى عصر علي رضي الله عنه.

ومما وقع من زعيمهم من الأخطاء في الأحداث التاريخية أنه صرح في كتابه بأن محمودا ذهب الى مكة بعد أن نهب الهند !

وكذلك صرح بأن الذى اكتشف أمريكا هو كولمبس من سكان انجلترا ! ومن الجدير بالذكر أن الآريين أصلحوا مثل هذه الأخطاء الواقعة في الكتاب.

وهكذا ذكر الشيخ الافتراء ات والكذبات التي تعمدها زعيم الآريين والمؤلفون الآخرون، وردّ على هذه الأكاذيب بالاحالة الى كتب التاريخ المعتمدة. وفي نهاية المبحث أورد الشيخ مقالا لبعض المؤلفين من فرقة سناتن دهرم، وهذا المقال يعرض الأخطاء والتناقض في كتابات سوامى ديانند أو أتباعه. والعنوان الأخير الذى وضعه الشيخ لكتابه عن سوامي ديانند هو أن "سوامى ديانند رجل مجرّد قاطع النسل، مغلوب الغضب" ثم أثبت دعواه بأدلة دامغة، فلله دره.

هذا، وقد ختم الشيخ كتابه "مقدس رسول" بالدعاء والتضرع الى المولى جل شأنه، فقال: اللهم انك تعلم أن محمد ﷺ وأزواجه المطهرات كلهم صادقون عندك، ولذا قمت بنصرة منك بالدفاع عنهم كما أمرت في كتابك الكريم: ﴿وكونوا مع الصادقين – التوبة: ١١٩﴾ فيأمن تعلم حال قلبي ! ألحقني جزاء على هذا العمل اياي ومن ساعدني بأولئك الصادقين: توفنا مسلمين، وألحقنا بالصالحين.

راجي الغفران وخادم دين الله

أبو الوفاء ثناء الله الأمرتسرى

كفاه الله

وحيث إن المؤلف الأمرتسرى رحمه الله تعالى كاتب قدير ومصلح عظيم وعالم نحرير فانه قد وضع عنوان "الى الاخوة المسلمين" وكتب تحته "شجر الاسلام" ثم رسم صورة شجرة ذات فروع عديدة يشير منها فرع الى قارة آسيا، والآخر الى قارة افريقية، والثالث الى قارة أوربا، والرابع الى قارة أمريكا، وكتب تحت الشجرة قوله تعالى: ﴿كشجرة طيبة أصلها ثابت وفرعها فى السماء – ابراهيم: ٢٤﴾ وعلى جنبي الشجرة بيت شعر بالأردية يترجم بما يأتي: ذهبت الأوراق، وبقيت الفروع فقط، فانهضوا قبل أن تجف، ولو جفت لحلت الكارثة!

وفي الصفحة التي تقع يسار صفحة الشجرة أورد قصيدة باللغة الأردية في ٣٦ بيتا ووضع لها عنوان: "نظم يتعلق بالشجرة الطيبة". وفي نهاية القصيدة وضع اسمه (خادم أهل الله: أبو الوفاء ثناء الله، كفاه الله، أمرتسر.

☆☆☆